جولة فى عرصات القيامة

للأديب محمد محمد مصطفى

حدث سهيل بن النعمان قال :

... ونفخ فى الصور فلفظتنا القبور حفاة عراة سواء منا ملك وصعلوك وعذراء حصان[1] وبنى هلوك ، لا تستطيع امرأة أن ترنو إلى رجل تجتبيه ، وما يستطيع رجل أن يرنو إلى امرأة تدانيه ، فكل ذاهل اللب له شأن يعنيه

ورف ملاك فوق رؤوسنا وبيده إبريق، يصب منه ماء لفريق منا دون فريق ، فقلت : اسقنى يا هذا إنى لفى صدى[2] شديد وضيق . قال : أفأعطيت فى حياتك لابن سبيل عدداً[3] من غدقك[4] ؟ قلت : قد كنت فى حياتى نضو إملاق . قال : إن نبيك مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير . فما كانت صناعتك فى الدنيا ؟ قلت : شرطى . قال : أخررت عبداً من رقه ، أو كبت بجرماً وكفيت الناس شره ؟ قلت : لم يكن فى زمنى رق ولا رقيق . فرمقنى وقال : يلوح لى أنك أتيت فى دنياك حوباً[5] كبيراً ، وهذا الماء لمن وق شريداً أو أطعم فقيراً . فسفحت[6] دمعى عله يرق لى ... لكنه تركنى وانصرف

* * *

ووضع الكتاب فى عرصات القيامة ، وأذن فى الناس إبراهيم[7] ، وجىء بالنعمين فى الدنيا فعرضوا على جهنم فسمعنا لها شهيقاً وهى تفور ، وصاح صائح : إنا أعتدناها لهؤلاء نزلاً ، وسيرون الآن فيها العذاب قبلا

ورأيت قوماً تجذبهم اللائكة وتقف بهم بين يدى الله ،

(١) حصان : عفيفة (٢) صدى : ظمأ (٣) العدد: القليل الكثير (٤) الغدق: الكثير (٥) حوبا : إثما (٦) أى أرسلت

(٧) عن الأمام محمد الرازى أنه أول مؤذن فى الدنيا قالوا : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قال سبحانه : وأذن فى الناس بالحج . قال : يا رب وما يبلغ صوتى ؟ قال : عليك الأذان وعلى البلاغ . فصعد إبراهيم عليه السلام الصفا وقال : كيف أقول ؟ قال جبريل عليه السلام : قل لبيك اللهم لبيك . فسمعه ما بين السماء والأرض فما شئ شيء سمع صوته إلا أجاب بقول : لبيك اللهم لبيك !

وينادى المنادى بأعلى صوت : هؤلاء هم الشرطيون الذين كانوا فى حياتهم يرتشون، والذين كانوا لا يتركون باثماً جوالاً إلا وهم من بضاعته آكلون ؛ تقوم الدنيا إلى جانبهم وهم بياعة الدرقسوس لاهون !

وسئل أولهم عما كان يحشو به منديله المحلاوى من لبوفشار، وبطاطا وخيار ، وما كان يرشى به من درهم ودينار . فنظرت إليه فإذا هو ناكس رأسه حزناً وألماً يقول :

قد رأيت يا رب قلة راتبى وكثرة أطفالى ، وإن أحدهم كانت تهصر نضارته الحمى وأمه قائمة إلى جانبه يرفض[1] كبدها لصوت أنينه، فلم أملك رفض الدراهم التى كانت تقدم إلىّ لأدفعها للطبيب ثمن الجياة لطفلى ، إذ لم يكن ينتفع فى الدنيا بطب الطبيب سوى الأغنياء . ولم أسمع أن أحداً منهم خصص يوماً للفقراء ، وكان زمنى كله شرور فذوو السمة يغلون أيديهم لا يبسطونها إلا لشهوة أو نزوة أو لوليمة تقام للأمراء والأغنياء ، ولم أر موسراً دعى إلى مأدبة فقراء

وكان فى زمنى مبنى يسمى (متحف الآثار)، كانت تكدس به تماثيل وقطع من الأحجار، يهرع لرؤيتها الأغنياء من الأقطار والأمصار ، وكان يكفى ثمن القطعة منه لبناء أكبر دار تضم بين جدرانها العرايا والمشردين من الأطفال الصغار ، الذين كانوا يفترشون الأرصفة فتهطل على أجسادهم الرقيقة الأمطار ، على أن أحداً لم يحفل ببيع ما تماثل أو تشابه من هذه الآثار ، ليدفعوا ببعض ثمنها عنى وعن أولئك الأطفال الصغار ، بحجة أن فى بيعها لمصر عاراً . مع أن تركيا فعلت ذلك واشترت بثمن آثارها أسطولاً فى الجو وآخر يمخر البحار ، ولم نسمع فى زمننا أن أحداً أشار إليها بعار أو شنار ... وكنت أقف النهار يلوحنى الهجير، وأسهر الليل يقضقض عظامى الزمهرير ، ولا يدفع لى عن ذلك إلا أجر يسير؛ فقيل له : ألك شاهد بذلك ؟ قال : رسل باشا . فهتف منادٍ : يا رسل يا ابن حواء ! فأشخص إلى المولى وسئل فوافق على ما قاله رجاله ، فدخلوا بشهادته الجنة آمنين ...

ومر مثل عمرى فى الدنيا حتى حان دورى فى الحساب فاشتدت من هول الموقف وفرقاً من هيبة الله وجلت أسبح وأستعيذ

(١) يرفض : يتناثر

والملاك يغذ بى السير حتى مثلت بين يدى الله فغشى بصرى من نوره، وثقلت سيقاى، فسئلت : لم فسقت عن أمر ربك ؟ فألجمنى الفزع الأكبر . فهتف هاتف : عذبوه . فانطلق بى الزبانية وإذا بى من جهنم على شفير، فربع قلبى وصرخت صرخة رجعت أصداءها أطباق الجحيم وجارت بالشكوى إلى الله أن يكشف عنى الضر « إننى من أمة حبيبك محمد الأمين » ... فرأيت خاتم الرسل يطوى إلىّ رحب السماء على البراق وهو يهتف بى : « لا تثريب عليك فقد غفر الله لك » ... ووكل بى حورية هيفاء حملتنى وانطلقت بى إلى جنة الخلد التى وعد الله بها المتقين

* * *

وأخذت أخبط فى جنبات البساتين فإذا بقصور من در تتغلغل فى رياض الجنة وورودها لتنوء إلى عزلة سعيدة ، فسألت حوراء من حور الجنان: لمن يكون هذا الحى فقالت : إنه لصرعى الغرام . قلت هل تدلينى على « قيس بن الملوح » إنه مات وجداً بليلاه . قالت : أنا بك إليه

ودلفت وراءها إلى فناء قصر تتوسطه بركة ملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ، وإذا فتى إلى جانبها يتدفق الشباب فى بردتيه ويلتهب بحمرة الورد خداه قد أجلس على ركبتيه فتاة فى مثل تهاويل الزهر قد أسبغت عليها الجنة جمال أنوثة الدنيا وبهاء الملائكة ، ينظر إليها وتزنو إليه ... وبدا لى أنهما لم ينتبها لى كأن بينى وبينهما آفاقاً بعيدة ، فصحت مسلماً فنهضا وسلما . . . فقلت إن شعرك ياقيس ظل يتلى حتى قامت الساعة وأنا أعرفك من شعرك. فرحب بى وسهل، واقترحت ليلى أن توسلنا السابحات إلى عين السلسبيل ، وقال قيس : سيكون الشاق لك فداى وسترقص لك وتغنى حور عين. وعلى شاطئ النهر دارت بنا كؤوس من زبرجد أخضر نضب منه خمراً لذة للشاربين، وأغمت حورية أفئدتنا بصوتها السماوى الساحر ، ولعبت الراقصة بقلوبنا برقصها المائس الباهر . وتلبثت وقتاً بينهم فى بلهنية وخمر. ولما تعالم الشاق إزماعى الرحيل عن حيهم ألجموا لى فرساً من نور طفت بها أحياء الجنة والملائكة حولى تهتف : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

من الأدب التركى الحديث

الجزيرة الكبرى فى الليل(*)

للكاتبة التركية الآنسة معزز أورنكان

... فى ليلة جميلة من ليالى آذار :

«نسمات الربيع تتلألأ حتى تذوب على سطح البحر البرّاق المشتمل باللمعات الفضيّة التى قبسها من سنا الأزهار ... والنجوم المنثورة على السماء الزرقاء تخفق قلوبها ابتهاجاً وسروراً لقدوم الربيع . . . والبحر فى هذه الليلة متقبع بملابسه الخضراء . . . وظلام النجوم تغسل أبد الدهر بمياه هذا البحر ... والقمر فى عليائه كأنه تاج فضىّ على رأس الليل . . . أو زهرة ناضرة على صدر الكون . . . » .

خلال هذا المنظر الفاتن ترى الجزيرة الكبرى من بُعد كأنها إحدى بلاد الجان فى عزلتها وهدوئها وجاذبيتها ، وجمالها وسحرها ... وفى وسط تلك الجزيرة وبين أشجار الأرز الكثيفة فى نقطة مرتفعة أضواء مشعشعة كبيرة ، يخيل إلى الناظر إليها من بُعد أن نجمة كبيرة هبطت من السماء على تلك القمة . أو أن تلك الأضواء التى تغمر الأرز بأحمرار رهيب هى نار حريق اندلعت ألسنته هنالك . . .

أجل قصور الجزيرة منورة بالكهرباء ، كأنما خرج ليارى أضواء النجوم والقمر ؛ وأزهار هذا القصر الفخم وأشجاره قد تعودت كأهله هذه الحفلات ... فهى سكرى تتمايل على هدأة الليل .

وحينما ترفع أجمل النغمات العذاب إلى علياء السماء تنصت الربع إجلالاً وإكباراً ، والبحر يضم هذه النغمات إلى صدره كما يضم الطفل الحالم أغنية أمّه إلى صدره الصغير . والمنادل تردد أجمل ألحانها على أغصان الأرز ثم تصمت حزينة آيسة ، حينما تسمع هذه النغمات الشجيّة الرائعة — نغمات الليل — وحينما تدرك عجزها عن أن تأتى بمثلها . والقمر الذى يطل من كل مساء من فرج الأشجار المرتفعة ، والنجوم التى تطل من السماء بغبطة وحسد . كل هؤلاء كان يعرف أن هذه الجزيرة محل الأنس والطرب ، لا يمكن للشقاء والبؤس أن يعيشا فيها . الحياة هنالك سعادة دائمة ، وهناء متواصل .

« بغداد »

نجدة فتحى صفوت

(*) وهى كبرى الجزائر الثلاث القائمة خارج البوسفور فى الآستانة